

# تَلْمَذَة

{الحلقة ٦ - تعليم ٥}

## التلميذُ ينموُ نموًّا رُوحِيًّا مُتواصِلًا

نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ النُّمُوَّ هُوَ شَيْءٌ طَبِيعِيٌّ لِكُلِّ الكائِنَاتِ الحَيَّةِ. وحيثُ أَنَّ الإيمانَ المَسِيحِيَّ هُوَ عَلاقَةٌ حَيَّةٌ مَعَ اللهِ، فَإِنَّ النُّمُوَّ يَنْطَبِقُ عَلَى حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةِ أَيْضًا. فَإِذَا لَمْ نَنمو رُوحِيًّا فَمِنَ المَوَكَّدِ أَننا سَنَموتُ بِالمَعْنَى الرُّوحِيَّةِ للكَلِمَةِ. لَكِنْ مَنْ هُوَ المَسْؤُولُ عَنَ نُمُونَا الرُّوحِيَّةِ؟ وَمَا هِيَ مَراحِلُ النُّمُوِّ الرُّوحِيَّةِ فِي حَيَاتِنَا كَمُؤمِنِينَ مَسِيحِيِّينَ؟ وَمَا هِيَ بَعْضُ الطُّرُقِ العَمَلِيَّةِ الَّتِي تُساعِدُنَا عَلَى النُّمُوِّ الرُّوحِيَّةِ؟ هَذَا هُوَ مَا سَنناقِشُهُ فِي هَذَا الدرسِ مِنْ بَرنامِجِ "تَلْمَذَة".

فِي البِدَايَةِ، مَا هِيَ مَسْؤُولِيَّةُ المُؤمِنِ المَسِيحِيِّ فِيمَا يَتعلَقُ بِنُمُوِّه الرُّوحِيِّ؟ لِلإِجابَةِ عَنَ هَذَا السُّؤالِ، تَعالَ بِنَا نَقْرَأُ **مَثَلُ الزَّارِعِ** الَّذِي ضَرَبَهُ السَّيِّدُ المَسِيحُ لِتَلامِيذِهِ وَنَا. فَنَحْنُ نَقْرَأُ فِي إنجيلِ مَرْقُسَ ٤: ٣-٨:

"اسْمَعُوا! هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرِعَ، وَفِيمَا هُوَ يَزْرِعُ سَقَطَ بَعْضُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاعَتِ طُيُورُ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى مَكَانٍ مُحَجَرٍ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تَرَبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَانْبَتَ حَالًا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَمَقُ أَرْضٍ. وَلَكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ. وَسَقَطَ آخَرُ فِي الشُّوْكَ، فَطَلَعَ الشُّوْكَ وَخَنَقَهُ فَلَمْ يُعْطِ ثَمَرًا. وَسَقَطَ آخَرُ فِي الأَرْضِ الجَيِّدَةِ، فَأَعْطَى ثَمَرًا يَصْعَدُ وَيَنمو، فَأَتَى وَاحِدٌ بِثَلَاثِينَ وَآخَرٌ بِسِتِّينَ وَآخَرٌ بِمِئَةٍ".

يُرَكِّزُ مَثَلُ الزَّارِعِ هَذَا عَلَى مَسْؤُولِيَّةِ الإنسانِ فِيمَا يَتعلَقُ بِنُمُوِّه الرُّوحِيِّ. نَلاحِظُ هُنَا أَنَّ السَّيِّدَ المَسِيحَ ذَكَرَ أَرْبَعَةَ أنواعِ مِنَ التُّرْبَةِ إِشارةً إِلَى المَواقِفِ الَّتِي قَدْ يَتَّخِذُهَا الإنسانُ فِي قَلْبِهِ تَجاهَ كَلِمَةِ اللهِ. وَيَجِبُ أَنْ نَوضِّحَ هُنَا أَنَّ أنواعَ التُّرْبَةِ الأَرْبَعَةِ لا تُشيرُ إِلَى أَرْبَعَةِ أنواعِ مِنَ

النَّاسِ، بَلْ إِنَّهَا تُمَثِّلُ قُلُوبَ الْبَشَرِ وَمَدَى قُبُولِهَا لِكَلِمَةِ اللَّهِ. فَالشَّخْصُ نَفْسُهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّخِذَ مَوْقِفًا مُحَدَّدًا مِنْ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْأَرْبَعَةِ تَجَاهَ كَلِمَةِ اللَّهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، ثُمَّ يُغَيِّرُ مَوْقِفَهُ هَذَا فِي وَقْتٍ لآخِرٍ. أَمَّا أَنْوَاعُ التُّرْبَةِ الْأَرْبَعَةِ فَهِيَ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ التُّرْبَةِ هُوَ تُرْبَةُ الطَّرِيقِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى "الْقَلْبِ غَيْرِ الْمُتَجَاوِبِ" مَعَ كَلِمَةِ اللَّهِ. فَمَثَلُ هَذَا الشَّخْصِ لَا يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ وَلَا أَنْ يَقْبَلَهَا عِنْدَ سَمَاعِهَا لَهَا. لِهَذَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي سَرِيعًا وَيَخْطِفُ الْكَلِمَةَ مِنْهُ.

النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ التُّرْبَةِ هُوَ التُّرْبَةُ السُّطْحِيَّةُ الْمُحْجَرَةُ وَالَّتِي تُشِيرُ إِلَى "الْقَلْبِ الْمُنْدَفِعِ ظَاهِرِيًّا". فَمَثَلُ هَذَا الشَّخْصِ يُبْدِي حَمَاسَةً كَبِيرَةً عِنْدَ سَمَاعِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَيَتَأَثَّرُ بِالرَّسَالَةِ؛ لَكِنْ لِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ يَكُونُ تَأَثُّرُهُ هَذَا هُوَ تَأَثُّرٌ سَطْحِيٌّ بَعِيدٌ عَنِ الْعُمُقِ. فَهُوَ لَا يُفَكِّرُ فِي مَعَانِي الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَسْمَعُهَا وَلَا فِي أَبْعَادِهَا. لِهَذَا فَإِنَّهُ يَنْدَفِعُ إِلَى قَبُولِ كَلِمَةِ اللَّهِ أَوْ قَبُولِ يَسُوعَ مُخْلِصًا لِحَيَاتِهِ. لَكِنْ عِنْدَمَا يُوَاجَهُ أَيُّ انْتِقَادٍ أَوْ تَهْدِيدٍ مِنَ النَّاسِ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ فَإِنَّهُ يَتَخَلَّى عَنِ إِيمَانِهِ وَيَرْجِعُ إِلَى حَيَاتِهِ السَّابِقَةِ.

النَّوْعُ الثَّلَاثُ مِنَ التُّرْبَةِ هُوَ التُّرْبَةُ الْمَلِيئَةُ بِالْأَشْوَاكِ وَالَّتِي تُشِيرُ إِلَى "الْقَلْبِ الْمَخْنُوقِ بِمَشْغُولِيَّاتِ الْحَيَاةِ". فَمَثَلُ هَذَا الشَّخْصِ مُنْشَغَلٌ كَثِيرًا بِعَمَلِهِ، وَرَعَابَاتِهِ، وَاهْتِمَامَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ فِيهِ أَنْ يُخَصِّصَ وَقْتًا أَوْ جُهْدًا لِكَلِمَةِ اللَّهِ. فَهُوَ دَائِمٌ الْإِنْشَاغَالِ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ وَبِهَذَا الْعَالَمِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ يَفْقَدُ كُلَّ اهْتِمَامٍ لَدَيْهِ بِالْأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ أَوْ بِتَطْبِيقِ كَلِمَةِ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ الْعَمَلِيَّةِ. وَهَكَذَا، فَإِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ تَخْتَنِقُ وَلَا تُعْطِي أَيَّ ثَمَرٍ رُوحِيٍّ فِي حَيَاتِهِ.

أَمَّا النَّوْعُ الرَّابِعُ وَالْأَخِيرُ مِنَ التُّرْبَةِ فَهُوَ التُّرْبَةُ الصَّالِحَةُ الَّتِي تُمَثِّلُ "الْقَلْبَ الْمُتَجَاوِبَ" مَعَ كَلِمَةِ اللَّهِ. وَالشَّخْصُ الَّذِي يَتَجَاوَبُ مَعَ كَلِمَةِ اللَّهِ وَيَقْبَلُهَا وَيُطَبِّقُهَا فِي حَيَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ هُوَ شَخْصٌ مُخْتَلِفٌ تَمَامًا عَنِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى. فَعَلَى النَّقِيضِ مِنَ التُّرْبَةِ الْأُولَى فَإِنَّهُ يُصْغِي إِلَى كَلِمَةِ اللَّهِ بِاهْتِمَامٍ حَقِيقِيٍّ وَيُحَاوِلُ أَنْ يَفْهَمَهَا وَيُطَبِّقَهَا فِي حَيَاتِهِ إِطَاعَةً لِلَّهِ. وَعَلَى النَّقِيضِ مِنَ التُّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّهُ يَحْسِبُ كَلِمَةَ اللَّهِ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَتَطْبِيقَهَا. وَهُوَ يَحْسِبُ النَّفَقَةَ جَيِّدًا لِأَنَّهُ يَرْغَبُ فِي مُتَابَعَةِ السَّيْرِ مَعَ الرَّبِّ حَتَّى وَإِنْ وَاجَهَ بَعْضَ الضِّيقَاتِ وَالْإِضْطِهَادَاتِ. وَعَلَى النَّقِيضِ مِنَ التُّرْبَةِ الثَّلَاثَةِ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَحُ لِمَشْغُولِيَّاتِ هَذَا الْعَالَمِ أَنْ تَخْنُقَ كَلِمَةَ اللَّهِ فِيهِ. وَمَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ

تَعْمَلْ وَلَا أَنْ تَنْمُو إِلَّا فِي الْقَلْبِ الْمُتَجَاوِبِ الَّذِي يَقْبَلُهَا بِفَرَحٍ وَرَغْبَةٍ حَقِيقَةٍ. وَحِينَ يَحْدُثُ ذَلِكَ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الشَّخْصِ يَنْمُو وَيَخْتَبِرُ النَّضْجَ الرُّوحِيَّ وَالثَّمَرَ الرُّوحِيَّ فِي حَيَاتِهِ.

إِذَا فَإِنَّ مَسْئُولِيَّةَ الْإِنْسَانِ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِنُمُوِّهِ الرُّوحِيِّ تَتَمَثَّلُ فِي قَبُولِ كَلِمَةِ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ وَإِطَاعَتِهَا عَنْ طَرِيقِ تَطْبِيقِهَا فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ. لَكِنْ مَا هِيَ مَسْئُولِيَّةُ اللَّهِ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِنُمُوِّنَا الرُّوحِيِّ؟

نَجِدُ الْإِجَابَةَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ فِي **مِثْلِ الْبِدَارِ النَّامِيَّةِ** الَّذِي ضَرَبَهُ لَنَا يَسُوعُ وَالْمُدُونُ فِي إِنْجِيلِ مَرْقُسَ ٤ : ٢٦-٢٩ حَيْثُ قَالَ:

"هَكَذَا مَلَكُوتُ اللَّهِ: كَأَنَّ إِنْسَانًا يُقِي الْبِدَارَ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَالْبِدَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ، لِأَنَّ الْأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِثَمَرٍ. أَوَّلًا نَبَاتًا، ثُمَّ سُنْبُلًا، ثُمَّ قَمْحًا مِلَانَ فِي السُّنْبُلِ. وَأَمَّا مَتَى أُدْرِكَ الثَّمَرُ، فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمُنْجِلَ لِأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ".

يُؤَكِّدُ هَذَا الْمَثَلُ عَلَى مَسْئُولِيَّةِ اللَّهِ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِنُمُوِّنَا الرُّوحِيِّ. فِي حِينِ أَنْ مِثْلَ الزَّرَّارِ يُعَلِّمُنَا عَنْ مَسْئُولِيَّتِنَا - كَمُؤْمِنِينَ - عَنْ نُمُوِّنَا الرُّوحِيِّ، فَإِنَّ مِثْلَ الْبِدَارِ النَّامِيَّةِ يُعَلِّمُنَا أَنَّ اللَّهَ يُنَمِّئُنَا رُوحِيًّا مِنْ خِلَالِ سُلْطَانِهِ الْعَجِيبِ وَسَيَادَتِهِ الْمُطْلَقَةِ!

فَعِنْدَمَا يَنْزُرُ الْمَزَارِعُ الْبِدَارَ فِي الْأَرْضِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ رِيِّهَا، وَإِزَالَةِ الْأَعْشَابِ الضَّارَّةِ، وَحِمَايَتِهَا مِنَ الطُّيُورِ. لَكِنَّ الْمَزَارِعَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ لِجَعْلِ الْبِدَارِ تَنْمُو! لِهَذَا فَهُوَ يَنْتَظِرُ أَيَّامًا وَشُهُورًا دُونَ أَنْ يَرَى شَيْئًا يَنْمُو. ثُمَّ ذَاتَ صَبَاحٍ تَبْدَأُ الْبِرَاعِمُ بِالظُّهُورِ وَالنُّمُوُّ شَيْئًا فَشَيْئًا، ثُمَّ يَبْدَأُ السَّاقُ بِالنُّمُوِّ يَوْمًا تَلُو الْآخَرَ، ثُمَّ تَظْهَرُ الْأَغْصَانُ وَالْأُورَاقُ وَالثَّمَارُ. وَأخِيرًا يَأْتِي وَقْتُ الْحَصَادِ حِينَ تُصْبِحُ الثَّمَارُ نَاضِجَةً وَجَاهِزَةً لِلْقَطَافِ.

وَرُبَّمَا يَقُودُنَا هَذَا إِلَى سُؤَالٍ هَامٍّ أَلَا وَهُوَ: "مَا هِيَ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ مِثْلِ الزَّرَّارِ وَمِثْلِ الْبِدَارِ

النَّامِيَّةِ؟"

يُرَكِّزُ مِثْلَ الزَّرَّارِ عَلَى مَسْئُولِيَّةِ الْإِنْسَانِ تَجَاهَ نُمُوِّهِ الرُّوحِيِّ. فَلَا يُمَكِّنُ لِلْبِذَارِ أَنْ تُخْرَجَ بَرَاعِمٌ وَلَا أَنْ تَتَّمُوَ وَلَا أَنْ تُثْمِرَ إِلَّا إِذَا وَقَعَتْ فِي تُرْبَةٍ جَيِّدَةٍ. بعبارةٍ أُخْرَى، لَا يُمَكِّنُ لِكَلِمَةِ اللَّهِ أَنْ تُثْمِرَ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ إِلَّا إِذَا فَتَحَ قَلْبُهُ لَهَا وَتَجَاوَبَ مَعَهَا تَجَاوُباً صَاحِحاً. وَهَذَا يَعْنِي أَنْ تَجَاوَبَكَ الْقَلْبِيُّ مَعَ كَلِمَةِ اللَّهِ - فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ حَيَاتِكَ - هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ مَا إِذَا كَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ سَتَتَمُّوْا وَتُثْمِرُ فِي حَيَاتِكَ أَمْ لَا. لِهَذَا، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَعِدّاً مئةَ بِالمئةِ لِسَمَاعِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَقِرَاعَتِهَا، وَدِرَاسَتِهَا، وَحِفْظِهَا، وَالتَّأَمُّلِ فِيهَا، وَتَطْبِيقِهَا فِي حَيَاتِكَ.

أَمَّا مِثْلُ الْبِذَارِ النَّامِيَةِ فَيُرَكِّزُ عَلَى سِيَادَةِ اللَّهِ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِنُمُوِّنا الرُّوحِيِّ. فَإِذَا كَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ مَوْجُودَةً فِي قَلْبِ أَيِّ إِنْسَانٍ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا عَظِيمًا فِي حَيَاتِهِ وَحَيَاةِ الْآخِرِينَ مِنْ حَوْلِهِ لِأَنَّهُ سَيَنُمُو رُوحِيًّا وَيُعْطِي ثَمَرًا كَثِيرًا. كَمَا أَنَّ اللَّهَ يُؤَسِّسُ مَلَكُوتَهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِسَيَادَتِهِ الْمُطْلَقَةِ. لِهَذَا، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَّكِلَ عَلَى اللَّهِ بِالْكَامِلِ فِيَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَمَلِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ فِي قُلُوبِنَا.

وَنَحْنُ نَشْكُرُ اللَّهَ لِأَنَّ كَلِمَتَهُ الْحَيَّةَ تُحَدِّثُنَا كَثِيرًا عَنِ النُّمُوِّ الرُّوحِيِّ. فَمِثْلُ الْبِذَارِ النَّامِيَةِ يُشِيرُ إِلَى نُمُوِّ مَلَكُوتِ اللَّهِ فِي حَيَاتِنَا وَقُلُوبِنَا. وَيُمْكِنُنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمَثَلِ عِدَّةَ دُرُوسٍ هَامَّةٍ: فَمِثْلًا، نَتَعَلَّمُ مِنْ هَذَا الْمَثَلِ أَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي النُّمُوِّ لِكَيْ تَعِيشَ أَوْ لِكَيْ تَحْيَا. فَالآلَاتُ الَّتِي نَصْنَعُهَا نَحْنُ الْبَشَرُ لَا تَتَّمُو وَلَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَتَّمُو فَعَلِيًّا لِأَنَّهَا جَمَادٌ. أَمَّا الْنبَاتَاتُ وَالْأَزْهَارُ وَالْأَشْجَارُ وَالْحَيَوَانَاتُ وَالْبَشَرُ فَإِنَّهُمْ يَنُمُونَ لِأَنَّهُمْ كَائِنَاتٌ حَيَّةٌ. وَيَنْبَغِي عَلَى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي النُّمُوِّ وَإِلَّا فَسُوفَ تَمُوتُ. وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْمَسِيحِيِّ أَيْضًا. فَإِنْ أَصْبَحَ إِيمَانُهُ حَيًّا فَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي النُّمُوِّ دُونَ تَوَقُّفٍ وَإِلَّا فَسُوفَ يَمُوتُ بِالمَعْنَى الرُّوحِيَّةِ لِلْكَلِمَةِ.

وَهُنَاكَ دَرَسٌ ثَانٍ نَتَعَلَّمُ مِنْ مِثْلِ الْبِذَارِ النَّامِيَةِ أَلَا وَهُوَ أَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ تَمُرُّ بِمَرَاكِلِ نُمُوٍّ عَدِيدَةٍ. فَالنُّمُوُّ لَا يَحْدُثُ دُفْعَةً وَاحِدَةً أَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً فَحَسْبُ؛ بَلْ إِنَّهُ يَمُرُّ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْمَرَاكِلِ. وَمَا يَنْطَبِقُ عَلَى الْنبَاتَاتِ يَنْطَبِقُ عَلَى حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةِ أَيْضًا. فَانْقُرْ فِي الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ ٥ : ١١ - ٦ : ٣ :

"الَّذِي مِنْ جِهَتِهِ الْكَلَامُ كَثِيرٌ عِنْدَنَا، وَعَسِرُ التَّفْسِيرِ لِنَنْطِقَ بِهِ، إِذْ قَدْ صِرْتُمْ مُتَبَاظِنِي الْمَسَامِعِ. لِأَنَّكُمْ - إِذْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ لِسَبَبِ طُولِ

الزَّمان - تَحْتَاجُونَ أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدًا مَا هِيَ أَرْكَانُ بَدَءَةِ أَقْوَالِ اللَّهِ، وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى اللَّبَنِ، لَا إِلَى طَعَامٍ قَوِيٍّ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ اللَّبْنَ هُوَ عَدِيمُ الْخَبِيرَةِ فِي كَلَامِ الْبَرِّ لِأَنَّهُ طِفْلٌ، وَأَمَّا الطَّعَامُ الْقَوِيُّ فَلِلْبَالِغِينَ، الَّذِينَ بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُ مُدْرَبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. لِذَلِكَ وَنَحْنُ تَارِكُونَ كَلَامَ بَدَءَةِ الْمَسِيحِ، لِنَتَقَدَّمَ إِلَى الْكَمَالِ، غَيْرَ وَأَضِعِينَ أَيْضًا أَسَاسَ التَّوْبَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمِيَّتَةِ، وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، تَعْلِيمِ الْمَعْمُودِيَّاتِ، وَوَضْعِ الْأَيْدِي، قِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ، وَالْدِينُونَةَ الْأَبَدِيَّةَ، وَهَذَا سَنَفَعُهُ إِنْ أَدِنَ اللَّهُ".

يَتَحَدَّثُ هَذَا الْمَقْطَعُ الْكِتَابِيُّ عَنْ ثَلَاثِ مَرَاكِحٍ يَمُرُّ فِيهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ مَسِيحِيٍّ: فَهَنَّاكَ مَرَحَلَةً الطُّفُولَةَ (كَمَا نَرَى فِي الْآيَةِ ١٣)، وَهَنَّاكَ مَرَحَلَةَ الْبُلُوغِ أَوْ النُّضْجِ (كَمَا نَرَى فِي الْآيَةِ ١٤)، وَهَنَّاكَ مَرَحَلَةَ الْخِدْمَةِ وَتَعْلِيمِ الْآخَرِينَ (كَمَا نَرَى فِي الْآيَةِ ١٢). وَحَيْثُ أَنَّ مَرَاكِحَ النُّمُوِّ هَذِهِ تَهْمُنَا وَتَعْنِينَا كَثِيرًا، تَعَالَى بِنَا نَتَنَاوَلُ كُلَّ مَرَحَلَةٍ مِنْهَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ:

**المرحلة الأولى هي مرحلة الطفولة.** نقرأ في عبرانيين ٥: ١١ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمُرُّونَ بِهَذِهِ الْمَرَحَلَةَ يُوَجِّهُونَ صُعُوبَةً فِي فَهْمِ تَعَالِيمِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِأَنَّهُمْ اِكْتَفَوْا بِسَمَاعِ كَلِمَةِ اللَّهِ دُونَ أَنْ يَسْمَحُوا لَهَا بِالتَّغْلُغِ فِي أَذْهَانِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ. كَمَا نَقَرَأُ فِي الْآيَةِ ١٢ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْتَاجُونَ اللَّبْنَ (أَوْ الْحَلِيبَ) لَا لِلطَّعَامِ الصَّلْبِ. وَاللَّبْنُ هُنَا يُشِيرُ إِلَى التَّعَالِيمِ الْأَسَاسِيَّةِ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَكَمَا أَنَّ الْأُمَّ تَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ وَتَهْضُمُهُ لِكَيْ تُنتِجَ حَلِيبًا تُقَدِّمُهُ لِرَضِيعِهَا، فَإِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ رُعَاةِ الْكِنَائِسِ وَمُعَلِّمِي كَلِمَةِ اللَّهِ يُقَدِّمُونَ اللَّبْنَ (أَوْ الْحَلِيبَ الرُّوحِي) لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَنِيسَةِ بِسَبَبِ عَدَمِ قُدْرَةِ هَؤُلَاءِ عَلَى قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَفَهْمِهِ بِمُفْرَدِهِمْ. لِهَذَا فَهُمْ يَحْتَاجُونَ لِمَنْ يَشْرَحُ لَهُمْ حَتَّى التَّعَالِيمِ الْبَسِيطَةَ لِكَلِمَةِ اللَّهِ. وَنَجِدُ أَمْثَلًا عَلَى هَذِهِ التَّعَالِيمِ الْبَسِيطَةِ فِي عِبْرَانِيِّينَ ٦: ١ وَ ٢ (مِثْلَ التَّوْبَةِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْمَعْمُودِيَّةِ، وَوَضْعِ الْأَيْدِي، وَقِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ، وَالْدِينُونَةَ الْأَبَدِيَّةَ). كَذَلِكَ، فَإِنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ أَيَّ أَنَّهُمْ يُوَجِّهُونَ صُعُوبَةً دَائِمَةً فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ مَا هُوَ صَوَابٌ وَمَا هُوَ خَطَأٌ فِي عَيْنِي الرَّبِّ. لِهَذَا فَهُمْ يَسْتَمِرُّونَ فِي سَوْأَلِ رَاعِي الْكَنِيسَةِ أَوْ الْمُؤْمِنِينَ الْآخَرِينَ عَنْ مَا يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ فَعَلَهُ وَعَنْ الْقَرَارَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ اتِّخَاذَهَا. إِذَا، هَذِهِ هِيَ الصِّفَاتُ الَّتِي يَنْصِفُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي مَرَحَلَةِ الطُّفُولَةِ الرُّوحِيَّةِ.

ثم نأتي إلى المرحلة الثانية من مراحل النمو الروحي ألا وهي البلوغ أو النضج. نقرأ في عبرانيين ٥: ١٤ أن المؤمن الناضج يتناول الطعام القوي أو الصلب وذلك إشارة إلى التعاليم العميقة لكلمة الله. فكما أن الشخص البالغ والناضج يتناول طعامه بمفرده، ينبغي على المؤمن الناضج أن يتحمل المسؤولية وأن يُدرب نفسه على قراءة كلمة الله، والتأمل فيها، وفهمها، وتطبيقها في حياته الشخصية. كما نقرأ في الآية ١٤ أن المؤمن الناضج قادرٌ على التمييز بين الخير والشر. فهو يستخدم الكتاب المقدس لمعرفة الأشياء التي ترضي الله والأشياء التي لا ترضيه. كما أنه يبني عقائده وأخلاقه على ما تقوله كلمة الله. وهو يبحث عن الإجابات عن أسئلته في الكتاب المقدس.

**أما المرحلة الثالثة من النمو الروحي فهي الخدمة وتعليم الآخرين.** نجد في هذا المقطع الكتابي الذي قرأناه قبل قليل (عبرانيين ٥: ١١ - ٦: ٣) صفةً واحدةً فقط للخادم المسيحي حيث نقرأ في الآية ١٢ أن الخادم المسيحي يعلم الآخرين. فهو يساعد المؤمنين الذين ما زالوا في مرحلة الطفولة على النمو ليصبحوا مؤمنين ناضجين. لذلك، إذا رغب أي مؤمن مسيحي في أن يصبح خادماً أو معلماً، فينبغي عليه أولاً أن يكون مؤمناً ناضجاً.

ونحن نقرأ في رسالة كورنثوس الأولى ٣: ٦ عن نوعين من الخدام المسيحيين: الأول يُغرسُ بذارَ الإنجيل، والثاني يسقيها ويعتني بها إلى أن تنمو وتبدأ بإعطاء الثمر. كما يعلم الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٣: ١٠-١١ أن بعض المؤمنين يقومون بوضع الأساس (أي بتوصيل البشارة للناس)، في حين يقوم البعض الآخر بالبناء فوق ذلك الأساس (أي أنهم يقومون بتلمذة المؤمنين الجدد).

ونقرأ في رسالة كورنثوس الأولى ٣: ٥ أن الرب يسوع المسيح هو الذي يعين لكل مؤمن مسيحي مهمته الخاصة به. فبولس وأبلوس لم يختارا خدمتهما بنفسيهما، بل إن الرب يسوع هو الذي أوكل لكل منهما خدمة معينة للقيام بها. فيسوع هو رأس الكنيسة وهو الذي يوكل لأولاده المؤمنين الناضجين المهام التي ينبغي عليهم القيام بها في كنيسته وملكوته.

والآن، بعد أن تعرّفنا على مسؤوليّة المؤمن ومسؤوليّة الله في عمليّة النّمُو الروحيّ،  
وبعد أن عرّفنا المراحل الرئيسيّة للنّمُو الروحيّ، نعالِ بنا نلخصُ كلَّ ما سبقَ في نقطتينِ  
رئيسيّتين:

**النقطة الأولى هي أنه ينبغي على كلِّ مؤمنٍ مسيحيٍّ أن ينمو.** وهذا هو ما يوضّحه لنا  
الرسولُ بولسُ، والرسولُ يوحنا، وكاتبُ الرسالةِ إلى العبرانيين. فالإيمانُ المسيحيُّ ليسَ شيئاً  
يحدثُ مرّةً واحدةً، بل هو عمليّةٌ مُستمرّةٌ. فهو أشبهُ برحلةٍ طويلةٍ تبدأ في تلكَ اللحظة التي نسلمُ  
فيها حياتنا ليسوعَ ونقبّلهُ فيها ربّاً ومخلصاً لحياتنا، ولا تنتهي إلا حينَ نستودعُ أرواحنا بينَ يديّ  
الله.

**أمّا النقطة الثانية فهي أنه ينبغي على كلِّ مؤمنٍ مسيحيٍّ أن يستمرَّ في نموه الروحيّ  
دون توقّف.** فإذا كنتَ قد آمنْتَ بالمسيح منذَ فترةٍ قصيرةٍ، فينبغي عليك أن تتعلّمَ المبادئَ  
الأساسيّةَ للإيمانِ المسيحيّ بمُساعدةِ أحدِ المؤمنينِ الناضجين. ويجب أن يكونَ الهدفُ الذي تسعى  
لتحقيقه هو أن تنمو في الإيمانِ وأن تصيرَ تلميذاً حقيقياً ليسوعَ المسيح.

وإن كنتَ مؤمناً ناضجاً فينبغي عليك أن تتحمّلَ مسؤوليّةَ نموِّك الروحيّ وسلوكيّاتِكَ.  
لهذا، يجبُ عليك أن تدرُسَ الكتابَ المقدّسَ بعُمقٍ وأن تطبّقَ تعاليمه في حياتِكَ الشخصيّة. أمّا  
الهدفُ الذي يبغي أن تسعى لتحقيقه فهو أن تنمو في الإثمارِ وأن تصيرَ خادماً للسيدِ المسيح.

وإن كنتَ خادماً للسيدِ المسيح فينبغي عليك أن تستمرَّ في النّمُو في علاقتِكَ معَ الله، وفي  
المعرفة، وفي اكتسابِ المهاراتِ، وفي سلوكيّاتِكَ وانضباطِكَ. كما يجبُ عليك أن تسعى إلى ربحِ  
النّفوسِ وردِّ المُتعتّرين في الطريق. أمّا هدفُك فهوَ تمجيدُ الله من خلالِ توسيعِ ملكوتهِ وجذبِ  
المزيدِ من الناسِ إليه.

لهذا، أرجو أن تسألَ نفسكَ وأن تُقيّمَ حالتَكَ الروحيّةَ بأمانة. فإذا كنتَ طفلاً في الإيمانِ،  
فانطلقْ نحوَ النضجِ في حياتِكَ الروحيّة. وإذا كنتَ ناضجاً فانطلقْ في الخدْمَةِ الفعّالة. وإذا كنتَ  
خادماً فواصلِ نموِّك وخدمتَكَ لكي يتمجّدَ يسوعُ المسيحَ فيكَ ومن خلالِكَ.

وصلاتي لأجلكَ هي أنْ تَخْتَبِرَ المزيدَ مِنَ العُمقِ في علاقتِكَ الشخصيةِ مَعَ الربِّ، وأنْ تُكْرِسَ نَفْسَكَ وَحَيَاتَكَ لِدَاكِ الَّذِي فَدَاكَ وَبَدَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِكَ.

وإلى أنْ نَلْقَاكُمْ فِي دَرَسٍ جَدِيدٍ مِنْ بَرْنَامَجِ "تَلْمِذَةٌ"، لَكُمْ مِنَّا أَطْيَبَ الْأُمْنِيَاتِ وَالتَّحِيَّاتِ. وَسَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلِ يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. آمِينَ.